https://doi.org/10.61856/ijhss.v2ispc..224

Scientific Events Gate

Innovations Journal of Humanities and Social Studies

مجلة ابتكارات للدراسات الإنسانية والاجتماعية

IJHSS

https://eventsgate.org/ijhss

e-ISSN: 2976-3312

الربط الفقهي بين البلاغة والتفسير لآيات القرآن الكريم—سورة مريم نموذجاً

أ.م.د. فاطمة دست رنج – علياء محمد جبر سالم العكايشي

قسم علوم القرآن والحديث/جامعة اراك /ايران

f-dastranj@araku.ac.ir – Aliamuhammad365@gmail.com

الملخص: يعالج هذا البحث الربط الفقهي بين البلاغة والتفسير في سورة مريم وتهدف الدراسة إلى إدراك العلاقة بين البلاغة والتفسير في منظومة القيم الدينية، وطريقة معرفة التوقيت الصحيح للربط بينهما. وكل ذلك يعد من المسائل المهمة في الدين الإسلامي وخاصة في الجوانب المختلفة في القرآن الكريم الفقهية منها والتقريرية، والبلاغية، والإعجاز القرآني ليس فقط في محتواه الديني والعلمي، بل أيضاً في بلاغته الفائقة. حيث يُعد الأسلوب البلاغي القرآني أحد جوانب إعجازه، فكلما تعمق المفسر في فهم الأساليب البلاغية، أدرك أبعاداً جديدة من الإعجاز القرآني، سواء في دقة التعبير أو في جمال الصياغة. وأمام ذلك كله أضحى البحث في طريقة التعامل الفقهي مع الجماليات التي جاءت في كلامه تعالى، ومدى إدراك الفكرة بشكل شرعي وفقهي أكبر عندما تكون فيها صور جميلة وإشارات تجعل المفسرين تعطي طاقة تفسيرية هائلة وهذا يعطي بعداً أعمق في فهم النص القرآني. ويعتمد هذا البحث المنهج الوصفي في الاستقراء والتحليل والجمع للآيات الواردة في سورة مريم والتي كان فيها الحكم الفقهي والشرعي معتمداً على جمالية التعبير في الآية القرآنية الكريمة.

الكلمات المفتاحية: التفسير البلاغي، القرآن الكريم، سورة مريم، الطباق، الجناس، التكرار، الربط

The jurisprudential link between rhetoric and interpretation of the verses of the Holy Qur'an – Surah Maryam as a model

Associate Professor Fatima Dast Range – Aliaa Muhammad Jabr Salem Al-Akaishi

Department of Qur'anic and Hadith Sciences, Arak University, Iran

f-dastranj@araku.ac.ir – Aliamuhammad365@gmail.com

Received 15/09/2024 – Accepted 22/10/2024 Available online 15/11/2024

Abstract: This research deals with the jurisprudential connection between rhetoric and interpretation in Surat Maryam. The study aims to understand the relationship between rhetoric and interpretation in the system of religious values, and the method of knowing the correct timing for the connection between them. All of this is considered one of the important issues in the Islamic religion, especially in the various aspects of the Holy Quran, including jurisprudential, reporting, rhetoric, and the miracle of the Quran, not only in its

https://doi.org/10.61856/ijhss.v2ispc..224

religious and scientific content, but also in its superior eloquence. The rhetorical style of the Quran is one of the aspects of its miracle. The more the interpreter delves into understanding the rhetorical styles, the more he realizes new dimensions of the miracle of the Quran, whether in the accuracy of expression or in the beauty of formulation. In light of all this, the research into the jurisprudential method of dealing with the aesthetics that came in the words of God Almighty, and the extent of understanding the idea in a legal and jurisprudential manner became greater when it contains beautiful images and signs that make the interpreters give tremendous interpretive energy, and this gives a deeper dimension in understanding the Qur'anic text. This research relies on the descriptive method in induction, analysis and collection of the verses mentioned in Surat Maryam, in which the jurisprudential and legal ruling was based on the aesthetics of expression in the Holy Qur'anic verse.

Keywords: Rhetorical Interpretation, The Holy Qur'an, Surat Maryam

المقدّمة:

القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهو دستور الأمة الخالد، وهو معجز الله الخالد، ولا يقتصر القرآن الكريم على جوانب التوحيد، والعبادة بل هو كتاب شامل للحياة الدينية والدنيوية والاثنتين معاً.

القرآن الكريم يعتبر قمة البلاغة في اللغة العربية، فهو يحتوي على أساليب بلاغية متعددة تهدف إلى توصيل الرسائل الدينية والأخلاقية بطرق مؤثرة.

وقد تميّز القرآن بفصاحته العالية وبلاغته الفائقة التي جعلته نصاً معجزاً يتحدى به الله العرب في فصاحتهم، ومن علوم العربية البلاغة التي عنيت بمجموعة من العلوم التي لها علاقة مباشرة في فهم النص الشرعي وعملية الاستنباط، بل أنّ إساس وضع علم البلاغة هو لمعرفة إعجاز القرآن والوقوف على مستويات الكلام والمقايسة بينها، البلاغة هي فن الإقناع والتعبير بشكل فعال وجذاب، وهي تعنى بجمالية اللغة وقوة التعبير. أما التفسير في القرآن الكريم فهو عملية فهم وتفسير معاني الآيات بالطرق الصحيحة والمنهجية، وهو يهدف إلى فهم رسالة الله في القرآن وتطبيقها في الحياة.

ترتبط البلاغة بالتفسير في القرآن الكريم بعدة طرق، فأولاً القرآن الكريم هو كتاب بليغ ورائع في أسلوبه وتعبيره، ولا يمكن فهمه وتفسيره بشكل صحيح إلا من خلال فهم البلاغة المستخدمة فيه.

البلاغة تساعد في فهم معاني الآيات وتوضيحها بشكل أفضل، حيث تساعد في فهم الأساليب اللغوية والشكلية المستخدمة في القرآن الكريم، مثل الاستعارة والتشبيه والتكرار والقسم وغيرها من الأساليب، فالوقوف على دلالات مفهوم البيان في البلاغة العربية بما يشمله من ألوان متنوعة المداخل والمقاصد في أداء الدلالات المختلفة بالطرق والوسائل المختلفة يستلزم

https://doi.org/10.61856/ijhss.v2ispc..224

منا الإقرار بالفضل للبلاغيين القدامى الذين صاغوا تفاصيل هذا المفهوم بكلّ دقة، وتصرّفوا فيه بكلّ عناية، حتى استوى على سوقه تاماً متمّماً.

كما أنّ النظر في كتب أصول الفقه يوقفنا على اتصال بيّنٍ وتامٍ وكاملٍ بين البلاغة وعلم أصول الفقه في مفهوم البيان وأنواع الدلالات. فنجد عند أهل الأصول تفصيلاً دقيقاً لمفهوم البيان، وأنواع الدلالة، وتحديداً رائعاً لتصرّفات كلّ نوع منها، وذلك على نحو يعجب منه الدارس البلاغي.

وتأسيساً على هذه الملاحظة أردنا البحث في جوهر هذا الاتصال بين البلاغة وأصول الفقه في تناول(البيان) وما يحتويه من أنواع الدلالات، بغية تحديد أوجه هذا الاتصال، والتأثير والتأثر بين العلْمين في هذا الباب، وكذلك النظر في أوجه الاختلاف في التناول لمباحث هذا الباب – إن وجدت– متخذين من التحليل الدقيق لهذه الجزئيات أداة للبحث.

صعوبة البحث:

صعوبة الحديث بشكلٍ مفصل عن كل الآيات في سورة مريم وتحديد العلاقة الفقهية مع البلاغة في كل ما ورد منها من الآيات الكريمة.

إشكالية البحث:

تتجلى الإشكالية في الطريقة التي نتلقى فيها القصد من الآية الكريمة؛ فهل نستطيع ذلك عن طريق التفسير أو البلاغة, أو الاثنين معاً, أو نتجه اتجاهاً فقهياً مجرداً في الآيات الكريمة التي سوف نتحدث عنها, أو نتحدث عن ذلك كله بارتباطه بعضه ببعضه الآخر, كما تكمن إشكالية البحث في تبيان أكثر من أمر، كالفقه والبلاغة، والتفسير، وعلاقة كل واحد منهما بالآخر.

أهميّة البحث:

البلاغة تلعب دوراً حيوياً في التفسير والجانب الفقهي، فهي تساعد المفسر على فهم الأساليب البلاغية المستخدمة في النص القرآني، مما يمكنه من تفسير المعاني بشكلٍ أعمق وأدقّ وعلى أسسٍ فقهية كذلك. فعلى سبيل المثال، يمكن أن تسهم الاستعارة أو التشبيه في توضيح معنى معين أو التأكيد عليه بطريقة لا يمكن للتفسير الحرفي أن يحققها.

هدف البحث:

يساعد التفسير في فهم البلاغة القرآنية، حيث يمكن للمفسر أن يشرح كيف يستخدم القرآن الكريم الأساليب البلاغية لتحقيق أهدافه البيانية والدينية. وبالتالي، يساهم التفسير في إبراز جمال البلاغة القرآنية وفهم تأثيرها على المستمع والقارئ.

وهذا البحث سيسعى – مستعيناً بالله – لبيان أهمية البلاغة العربية ومكانتها من العلوم الشرعية مبينا لمعلمٍ من معالم التلاقي بين علم أصول الفقه وعلم البلاغة، متخذا من السياق وأثره في استنباط الأحكام أنموذجاً لهذا المعلم، وسيجتهد البحث في بيان أنَّ العملية الاستنباطية تحتاج لقوانين لبلاغة لكي تصل للحكم الشرعي الصحيح، وستكشف الدراسة أنه في بعض الأحايين تتعين البلاغة طريقا لاستنباط الحكم الشرعي..

https://doi.org/10.61856/ijhss.v2ispc..224

منهج البحث:

سوف نقوم بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي, فسوف نوصف الظواهر بحسب التقسيم المعتمد ثم نأتي بالآيات الكريمة و نحللها بناء على هذه المعطيات في الجانب التحليلي الذي يبين المقاصد و الغايات من الآيات الكريمة

الدراسات السابقة: العلاقة بين التفسير وبلاغة القرآن، أنور الموسوي، البيان بين البلاغة و أصول الفقه: أسامة عبد العزيز ، مباحث العقيدة في سورة مريم: محمد أبو سيف.

أهم ما يميّز البحث الحالي عن الدراسات السابقة هو أنه تناول سورة مريم من منظورين، المنظور الأول هو الفقه، والمنظور الثاني هو البلاغة، وميز البحث أنه لم يتناول فقط التفسير، بل جمالية هذا التفسير عندما ندرسه بلاغياً.

خطة البحث:

سوف نعتمد في هذا البحث الخطة المقسمة إلى مقدمة، ومبحثين وهي سوف نوضحها في التقسم الآتي.

مقدمة.

المبحث الأول: المفاهيم النظرية:

المطلب الأول :الفقه لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني :التفسير لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثالث :البلاغة لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني: مجالات الربط الفقهي بين البلاغة والتفسير في سورة مريم.

- **المطلب الأول :على مستوى الاستعارة:**
- **المطلب الثاني :على مستوى المحسنات المعنوية.**
- **المطلب الثالث :على مستوى المحسنات اللفظية.**
- **المطلب الرابع :على مستوى التوكيد:**

خاتمة.

المصادر والمراجع المعتمدة.

https://doi.org/10.61856/ijhss.v2ispc..224

المبحث الأول: المفاهيم النظرية

المطلب الأول :الفقه لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني :التفسير لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثالث :البلاغة لغةً واصطلاحاً.

المطلب الأول: الفقه لغةً واصطلاحاً

الفقه لغةً يعني: الفهم المطلق، والفطنة. واستُدلَّ من قال بهذا المعنى بقوله –سبحانه وتعالى–: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ وقوله –جلَّ في علاه–: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، ففي كلا الآيتين الكريمتين يظهَر عدم الفقه؛ أي عدم حصول الفهم، ونفيه مطلقاً. وقيل في معنى الفقه: الفهم الدقيق، فعندما يُقال: فقهت الكلام، أي بمعنى فهمت ما يقصده به وما أخفى وراءه من مقاصد أخرى، وأمَّا في آيات القرآن الكريم فيأتي الفقه بمعنى الإدراك الدقيق، فإدراك التسبيح في سورة الإسراء يتضَّح لكل العقول بأن جميع المخلوقات تسبح الله –سبحانه–، ولكن إدراك أسرار ذلك التسبيح ليس للجميع(Ibn manẓūr w'ākhrwn1999ṣ747).

الفقه لغةً: الفهم، وخصص بعلم الشريعة عرفاً(Ibnal-Athīr,2005ṣ237)واصطلاحاً الفقه هو " العلم بالقواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية"(Ibnal-Ḥājib,2004,ṣ18) ، وموضوعه: نصوص القرآن، والسنة النبوية، والإجماع، وما يبنى على ذلك من مراعاة العرف، والمصالح المرسلة، وغيرها.

إنَّ موضوع الفقه يتعلق بأفعال العباد وتحديداً المكلَّفين منهم، فقد اشتملت على كافَّة أنواع علاقاتهم مع أنفسهم، ومع خالقهم –عزَّ وجلَّ–، ومع مجتمعاتهم، فتناولتها بشكل شامل، كما تناول موضوع الفقه الأحكام العملية لكلِّ ما يصدر عن العباد من أفعال أو أقوال، أو حتى معاملات، فهي تضم قسمين: أحكام العبادات، وأحكام المعاملات،)، فهو " العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية"(al-Bayḍāwī,2006,Ṣ22),فالحكم بوجوب الصلاة مستنبط من نص قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ ﴾(Sūrat al-Baqarah : Āyat raqm 43) .

والفقه يقنن القواعد أحكاماً عامة، تدلُّ على الأحكام الشرعية إجمالاً، والفقيه يطبقها على جزئيات المسائل. فينظر الأصولي إلى نص قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ ﴾ – مثلا– فيذهب إلى استقراء صيغة(افعل) في اللغة– وهي هنا(أقيموا)– فيجد دلالتها على مطلق الطلب: ملزماً كالوجوب، أو غير ملزم كالندب، وقد تستعمل مجازاً في التهديد، والإرشاد. فإذا استبعد المجاز –لتوقفه على القرينة – بقي الطلب بقسميه.

فإذا استنتج أن العرف الشرعي يريد بها الوجوب؛ لكمال الطلب فيه عند إطلاقه، فدلالتها ظنية؛ لاحتمالها للندب وإن كان مرجوحاً، فهي دلالة ظهور راجح، وليست كالنص الصريح القاطع.

المطلب الثاني :التفسير لغةً واصطلاحاً:

https://doi.org/10.61856/ijhss.v2ispc..224

التفسير في اللغة: الإبانة عن الشيء وإيضاحه وكشف المغطّى، مأخوذٌ من الفَسْرِ، وهو الكشف والبيان(Ibnmanẓūr,1999,ṣ324) ، والفعل فَسَرَ كضَرَبَ، يقال: فَسَرَ الأمر بمعنى بان، وفَسَرَ الشيء يَفْسُرُه بالضم والكسر فسْرا، وفَسَّرَه يُفَسِّرُه تفسيرا أبانه، ومنه التفسِرة نظر الطبيب الى الماء وحكمه فيه، وقيل: التفسرة هي القليل من الماء الذي ينظر فيه الأطباء ليكشفوا عن علة المريض، وكذلك المفسر ينظر في الكلام ليكشف عما فيه ويبين الخفي. وبنوا فسر على التفعيل فقالوا: التفسير؛ لإرادة التكثير.

وقيل: انه مقلوب عن سفر، يقال: أسفر الصبح إذا أضاء، وأسفرت المرأة: إذا كشفت عن وجهها فهي سافر.

ولا يبدو هذا القول وجيهاً فدعوى القلب تحتاج إلى دليل، ولا دليل، وتقارب المعنى أو اشتراكهما في الاشتقاق لا يعني أن تكون إحداهما مأخوذة من الأخرى.

وقال الراغب الأصفهاني: الفسر والسفر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما، لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول، وجعل السفر لإبراز الأعيان بالأبصار فقيل: سفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح(al-Aṣfahānī, 2005, ṣ65)

وقد كان المتصدي لتفسير القرآن الكريم من أكثر الناس حاجة إلى معرفة خصائص القرآن، وأحوجهم إلى الأدوات المُعينة على الوقوف على دلالة النص القرآني، وتأتي علوم العربية على رأس هذه الأدوات، ولا سيما العلوم التي لها صلة بالكشف عن أحوال التركيب من جهة إفادته عن المعنى أو ماله صلة بتأدية المق(al-Bayḍāwī,2019ṣ76) صود بطرق مختلفة مع وضوح الدلالة اللفظية، وأيضاً الدلالة المعنوية

فالتفسير يرجع إلى معنى الإبانة والإظهار والكشف والإيضاح ومنه قوله تعالى:﴿ وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ (al-Furqān : 33)، أي: بيانا. والتفسير من معاني العبارات التي يعبر بها عن الأشياء، كالتأويل والمعنى فيقال: استفسرت منه كذا، أي: سألته على أن يفسره لي. وعلى هذا فإن التفسير في اللغة يقتضي إعمال العقل والتفكير في الأشياء بقصد الإبانة عنها والإيضاح، أو الحكم عليها.

ب) التفسير في الاصطلاح: عرّف العلماء التفسير بوصفه علمًا عدة تعاريف وهي:

«علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، ومتمات لذلك».(al-Jurjānī,2003, 411)

وعرفه الزركشي بأنه: «علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه»(al-Zarkashī,2008,ṣ122). ثم قال: «واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ». وعرفه في موضع بقوله: «وفي الاصطلاح: هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها، والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيتها ومدنيتها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها(al-Zarkashī, 2008, ṣ122)

المطلب الثالث :البلاغة لغةً واصطلاحاً:

علينا أن نتبين معنى البلاغة قبل أي شيء آخر لغة واصطلاحاً لإدراك حقيقة الأمر. فالبلاغة – لغة –: الانتهاء والوصول، وبلغ الشيء يبلغه بلوغاً وبلاغاً: وصل وانتهى، وتبلَّغ بالشيء: وصل إلى مراده. والبلاغ: ما يُتَبَلَّغ به ؛ ويُتَوَصَّل إلى الشيء المطلوب، والبلاغ: ما بلغك. والإبلاغ: الإيصال. بلغت المكان بلوغاً:

https://doi.org/10.61856/ijhss.v2ispc..224

وصلت إليه. والبَلْغ والبِلْغ: البليغ من الرجال، ورجل بليغ:حسن الكلام فصيحه ؛ يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، والجمع بُلَغَاء. وقيل: البلاغة: الفصاحة.(Ibnmanẓūr,1996,(balagha) ولذا لم يتفق الناس على مفهوم للبلاغة ؛ فقيل: " للفارسي: ما البلاغة ؟ قال: معرفة الفصل من الوصل، وقيل لليوناني: ما البلاغة ؟ قال: تصحيح الأقسام، واختيار الكلام. وقيل للرومي: ما البلاغة ؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة. وقيل للهندي: ما البلاغة ؟ قال: وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة "(al-Jāḥiẓ, 1991ṣ88).

والبلاغة تقع على الشخص وعلى الكلام نفسه، فنقول: رجل بليغ وكلام بليغ، والبلاغة لكليهما.

وهي الفصاحة للقائل ؛ وهي الكلام البديع المؤثر المفيد الصائب في موضوع لغته، المطابق لمعناه المقصود حقيقة ومجازاً، الصادق في ذاته، المطابق لمقتضى الحال والمقام. والراغب الأصفهاني(ت 502هـ) يجريه على القائل وعلى الكلام ذاته حين فسر قوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾(Sūrat al-nisā':Āyat raqm 63). وذهب في تفسير كلمة(بليغ) إلى وجهين(al-Aṣfahānī,Dāral-Ḥusayn,al-'Irāq, ṭ4, 2006 Ṣ 60):

1- الكلام بذاته بليغ لأنه صواب في لغته، مطابق لمعناه المراد منه، وصادق في طبيعته ومضمونه ؛ وإذا فقد إحدى هذه الصفات كانت بلاغته ناقصة.

2- الكلام بليغ باعتبار قائله والمقول له. فالقائل يورد أمراً على وجه يقبله المقول له.

أما أبو هلال العسكري(ت 395 هـ) فقد عرَّفها بأنها:كل ما تبلغ به قلب السامع فتمكنه في نفسه ؛ كتمكنه في نفسك، مع صورة مقبولة ومعرض حسن.والبلاغة من صفة الكلام لا من صفة المتكلم ؛ بدليل أنه لا يجوز أن نصف الله بقولنا: الله بليغ ؛ ووصف الرجل بأنه بليغ إنما يكون على التوسع. واتجه العسكري إلى إثبات رأيين للفصاحة والبلاغة معاً:

الأول: تَرْجِعُ الفصاحة والبلاغة إلى معنى واحد ؛ فكل منهما للإبانة عن المعنى.

الثاني: الفصاحة والبلاغة مختلفتان، فالفصاحة من تمام آلة البيان ؛ مما يجعلها مقصورة على اللفظ، والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب، فهو مفهوم مقصور على المعنى. ولا شيء أدل على ذلك عنده من أن الببغاء يسمى فصيحاً ولا يسمى بليغاً، وليس له قصد إلى معنى يؤديه. ومن هنا نفذ إلى حديث بديع عن النظم المستمد من ماهية فصاحة اللفظ وبلاغة المعنى(al-Aṣfahānī,Dāral-Ḥusayn,al-'Irāq,ṭ4, 2006 Ṣ 60).

والدرس البلاغي عند العرب ظل منجذباً إلى الدراسات الإعجازية في القرآن وإلى الدراسات الأدبية والنقدية والبلاغية القائمة على الشعر العربي وبيان خصائصه.. فاللغة العربية متفردة بما تملكه من خصائص ذاتية، وأساليب بلاغية وتبرز طاقات هائلة من الإشارات والإيحاءات البلاغية والجمالية. وتؤكد نصوصها الأدبية مستويات أسلوبية رفيعة لا توجد في أي نصوص أجنبية. ومن ثم فإن التصور البلاغي عند العرب إنما هو نتيجة لما يمتلكونه من نصوص كثيرة ومتنوعة دينية وأدبية ولغوية.

وهي نصوص معرفية تعبّر عن مجمل قضاياهم بل تفكيرهم. وهي التي كانت وراء عدم وجود تعريف بلاغي شامل لمفهوم البلاغة. وهذا يجعلنا نؤمن بلا أدنى شك بأن الدرس البلاغي عند العرب القدماء كان درساً متميزاً، وسبق في كثير من قضاياه ما عرفته الدراسات الحديثة اللسانية والأسلوبية.

والبلاغة تبحث فيما ينبغي أن يكون عليه الكلام، من: التعبير الجميل، وطرق أدائه، وقوانينه. وذلك ما يظهر مما اعتادوا بحثه فيها تحت أقسام المعاني من: الخبر والإنشاء(وتعلقهما بالمخاطب وحاله).

https://doi.org/10.61856/ijhss.v2ispc..224

وإيراد الكلام على مقتضى الحال، وفي البيان من أداء المعنى بطرق مختلفة في الوضوح والتأثير، وفي البديع من التحسين التكميلي للكلام المنشأ فوق ما سبق. وهذا ما تتضمنه الأبحاث البلاغية الحديثة المتخذة منهجاً آخر للتقسيم، وذلك بتناول: المفردة، والجملة، والعبارة، والسياق، ودراسة موسيقى النص، وغيرها(al-Shāyib,1999,$35). فموضوع البلاغة هو النص المنشأ، تدرس القيم التعبيرية والمعنوية فيه.

المبحث الثاني: مجالات الربط الفقهي بين البلاغة والتفسير في سورة مريم

أثّر الفقهاء في الدرس البلاغي أثراً كبيراً، ففي كتب أصول الفقه بحوث وافرة عن: الخبر والإنشاء، والحقيقة والمجاز. وقد نوَّه بهاء الدين السبكي(ت 772هـ) في(عروس الأفراح) بالصلة الوثيقة بين علمي المعاني وأصول الفقه بقوله: " اعلم أن علمي أصول الفقه والمعاني في غاية التداخل، فإن الخبر والإنشاء اللّذَينِ يتكلم فيهما المعاني هما موضوع غالب الأصول، وإنّ كل ما يتكلم عليه الأصولي من كون الأمر للوجوب والنهي للتحريم، ومسائل الإخبار والعموم والخصوص والإطلاق والتقييد والإجمال والتفصيل والترجيح كلَّها ترجع إلى موضوع علم المعاني. وليس في أصول الفقه ما ينفرد به كلام الشارع عن غيره إلاّ الحكم الشرعي والقياس وأشياء يسيرة ويتمثل بحثهم للبلاغة في أنّ غرضهم هو التوسل بالدراسات اللغوية والبلاغية؛ للوصول إلى المعنى والكشف عنه في النص المُنشَأ، معتمدين على الاستقصاء والتحديد الدقيق للمعاني، من دون التعرض للقيمة الجمالية التأثيرية للنص، ولا لتكوين الأسلوب البليغ عند المنشئ، كما هو غرض البلاغيين. لكن يتخذ الأصوليون هذه الدراسات الجمالية قرائن تفيد في الحكم النهائي عند تحليل النص وصولاً إلى المعنى الدقيق، فإن لم نجدهم يبحثون في كثير من مباحث البلاغة، فإنهم عدُّوها ولاحظوها عند عملية استقراء الأساليب المتوقف عليها درسهم؛ ليوجهوا بها الدلالة العلمية المحددة.

وإذا أمكن تسمية الدرس البلاغي عند البلاغيين، بأنه(بلاغة الجَمال) والتأثير في النفس وتكوين الأسلوب، فإننا نسميه عند الأصوليين(بلاغة الدلالة)، حيث الكشف عن المعنى بدقة متناهية؛ لأن هذا المعنى مراد تطبيقه كحكم شرعي مستنبط من النصوص التشريعية.

وقد كشف الأصوليون عن قضية في غاية الأهمية، هي أن البلاغة لا تقتصر على المعاني المجازية(الخيالية) فحسب، وأنّ الحقيقة نوعان:

النوع الأول: الحقيقة اللغوية الوضعية(بمفهومها المعروف).

والنوع الثاني: الحقيقة بالنسبة لما يقصده المتكلم. وهذه الأخيرة قد تكون حقيقة بالمعنى الأول، وقد تكون المجاز الذي يقابل المعنى الأول للحقيقة؛ وذلك أن النوع الثاني للحقيقة منظور فيه إلى قصد المتكلم

كما أنّ صلة الدلالة بالبلاغة من حيث إنّ الثانية فرع من الأولى، بل الأبحاث البلاغية(ولا سيما علم المعاني) كلها مُنْصَبَّة على مقصد المتكلم، ليوافق كلامه مقتضى الحال، فهي بذلك تتفق مع بحث الأصوليين للكلام؛ ليصلوا إلى مقصد المتكلم، فكلاهما يبحث عن الدلالة الحقيقية بالمعنى الثاني.

فالأصوليون بحثوا قضية تفسير النص؛ ليستخلصوا المعنى الدقيق والأرجح، في حين ركَّز البلاغيون على الجانب التأثيري، وكيفية أداء المعنى ليوافق مقتضى الحال. فكلاهما غايته المعنى.

https://doi.org/10.61856/ijhss.v2ispc..224

وقد ذكر ابن خلدون(ت 808 هـ) حاجة دارس أصول الفقه للبلاغة والبيان بأنه " يتعين عليه النظر في دلالة الألفاظ؛ وذلك أن استفادة المعاني على الإطلاق من تراكيب الكلام يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية: مفردة، ومركبة... ثم إن هناك استفادات أخرى خاصة من تراكيب الكلام... فكانت كلها من قواعد هذا الفن، ولكونها من مباحث الدلالة كانت لغوية(Ibn Khaldūn, 2000, 197)

- **المطلب الأول :على مستوى الاستعارة:**
- **المطلب الثاني :على مستوى المحسنات المعنوية.**
- **المطلب الثالث :على مستوى المحسنات اللفظية.**
- **المطلب الرابع :على مستوى التوكيد:**

المطلب الأول على مستوى الاستعارة:

الاستعارة" هي اللفظ المستعمل فيما يشبه معناه الأصلي لعلاقة المشابهة، أو هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، أو هي مجاز عقلي علاقته المشابهة، والاستعارة قد تقيد بالحقيقة.. وقيل إن الاستعارة هي مجاز عقلي بمعنى أن التصرف فيها يكون بأمرٍ عقلي لا لغويّ"(dwydry, 1970, ṣ153).

و هي:" الوسيلة التي يجمع الذهن بواسطتها أشياء مختلفة لم توجد بينها علاقة من قبل، وذلك لأجل التأثير في المواقف والدوافع، وينجم هذا التأثير عن جمع هذه الأشياء التي تنشئها الذهن بينها وهي "ضرب من المجاز اللغوي، وهي تشبيه حذف أحد طرفيه، أو انتقال كلمة من بيئة لغويةٍ معينةٍ إلى بيئةٍ لغويةٍ أخرى(Ṣ98,‘Uṣfūr,1992).

فهي الوسيلة التي يجمع الذهن بواسطتها أشياء مختلفة لم توجد بينها علاقة قبل، وذلك لأجل التأثير ، و ينجم هذا التأثير عن جمع هذه الأشياء التي تنشئها الذهن بينه.

قال تعالى:﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّاً﴾(Sūrat Maryam al-āyah rqm4)

الاشتعال انتشار شواظ النار ولهيبها في الشيء المحترق قال في المجمع(al-Ṭabarsī454): وقوله: ﴿ واشتعل الرأس شيباً ﴾ من أحسن الاستعارات والمعنى اشتعل الشيب في الرأس وانتشر، كما ينتشر شعاع النار، وكأن المراد بالشعاع الشواظ واللهيب، وهذا من أحسن الاستعارة في كلام العرب. والاشتعال انتشار شعاع النار، شبه به انتشار الشيب في الرأس، يقول: شخت وضعفت، وأضاف الاشتعال إلى مكانِ الشّعر ومنبتهِ وهو الرأس. ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا عليه السلام. " وشيبا " في نصبه وجهان: أحدهما – أنه مصدر لان معنى اشتعل شاب، وهذا قول الأخفش(al-Akhfash. 1999, ṣ65)

وقال الزجاج وهو منصوب على التمييز. النحاس: قول الأخفش أولى لأنه مشتق من فعل فالمصدر أولى به. والشيب مخالطة الشعر الأبيض الأسود.

الثالثة – قال العلماء :يستحب للمرء أن يذكر في دعائه نعم الله تعالى عليه وما يليق بالخضوع، لان قوله تعالى: " وهن العظم مني " إظهار للخضوع. وقوله:(ولم أكن بدعائك رب شقيا) إظهار لعادات تفضله في إجابته أدعيته، أي لم أكن بدعائي إياك شقيا، أي لم تكن تخيب دعائي إذا دعوتك، أي إنك عودتني الإجابة فيما مضى. يقال:شقي بكذا أي تعب فيه ولم يحصل مقصوده. وعن بعضهم: أن محتاجا سأله وقال: أنا الذي أحسنت إليه في وقت كذا، فقال: مرحبا بمن توسل بنا إلينا، وقضى حاجتها(al-Ṭabāṭabā’ī, 1374h, ṣ987)لله أنزل كتابه بلسان العرب، وخاطبهم بلغتهم، ولا

https://doi.org/10.61856/ijhss.v2ispc..224

تفهم أحكام الله إلا بمعرفة لغة العرب وطريقتهم في استعمال اللغة مفردات وتراكيب، وخصائص التراكيب وتصوير ونسج وتحبير، وأن يقف على صريح كلامهم، وعلى حقيقته ومجازه، صريحه وتلميحه، خاصه وعامه، مطلقه ومقيده، وأن يفهم سياق الكلام ومقامه، فاللغة العربية هي الوسيلة التي يستعان على فهم مراد الله من كلامه ومعرفة حلاله من حرامه، ولا يقف على فقه الحلال والحرام من كلام الله تعالى إلا من فقه العربية.

فالاستعارة وسيلة تصويرية توضح المراد من المعنى في عبارة موجزة، بأشكال تصورية مختلفة بعيداً عن الزخم اللفظي بحيث ترسم لوحة فنية جميلة تلمس العقل و القلب والوجدان فتحيي في النفوس المشاعر النفسية بتلك الألفاظ المتخمة بالمعاني و، عامرة بالحياة والحركة.
وذلك في أداء تعبيري رفيع المستوى، وبأسلوب راق ومميز ترتبط فيه اللغة بالخيال محيلاً به إلى عمق الدلالة ووضوحها، فتبث في نفس السامع أو القارئ الإثارة، كما أنه يوضح العلاقة بين المعنى المراد إيجازه والتصوير المستعان به.

المطلب الثاني :على مستوى المحسنات المعنوية:

ليست البلاغة بصورتها العامة أو في كلام الله تعالى ذات منحى واحد أو جانب واحد؛ بل هي ذات أبعاد كثيرة من مستوياتها التي تنطلق منها، ومن مباحثها، وعناصر أيضاً، وهي كثيرة جداً نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر من المحسنات المعنوية:

1-الطباق وهو عنصر بلاغي مهم جداً و قد جاء تعريفه عند البلاغيين بأنهو يسمى المطابقة، و التضاد وهو الجمع بين كلمتين متعاكستين في المعنى وهو نوعان: طباق إيجاب و طباق سلب"(al-Qazwīnī, 739h, ṣ163).

قال تعالى ﴿فخرج عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيّاً يٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيّاً ﴾(Sūrat Maryam, al'āyt12) ومثل ذلك أيضاً قوله تعالى﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلاَّ سَلاَماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً ﴾(Sūrat Maryam, al'āyt62).

إن البلاغة هنا ليست فقط على المستوى المحسن المعنوي أو الجمالي بل لها إشارة فقهية.

فالجمع هنا بين الوقتين المتضادين هو من باب أن هذين الوقتين هما رأس أوقات الصلاة التي فرضها الله تعالى كل مسلم.

وهذا الجمع أراد منه سيدنا زكريا استمرارية التسبيح، و انسحب ذلك على الجانب الفقهي في أنه حكم من الأحكام الخاصة بأوقات الصلاة وكذلك الرزق في جميع الأوقات فهنا ظهر لنا أن البلاغة أدت لتوضيح المقصود بكلام الله تعالى بشكل عام من حيث الجانب التفسيري و كذلك من حيث الجانب الشرعي و الفقهي أيضا(Dymh, 1999, ṣ33').

و من الطباق أيضاً قوله تعالى﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غلام وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ٨﴾ قال الراغب: الغلام الطارُّ الشارب يُقال: غلام بيّن الغلومة والغلومية، قال تعالى: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ ﴾. قال: واغتلم الغلام: إذا بلغ حدّ الغلمة.

https://doi.org/10.61856/ijhss.v2ispc..224

العتيّ والعسيّ بمعنى يُقال: عتا يعتو عتوّاً وعتيّاً وعسا يعسو عسوّاً وعسيّاً فهو عات وعاس إذا غيَّره طول الزمان إلى حال اليبس والجفاف. وبلوغ العتيّ كناية عن بطلان شهوة النكاح وانقطاع سبيل الإيلاد

واستفهامه عليه السلام عن كون الغلام مع عقر امرأته وبلوغه العتيّ مع ذكره الأمرين في ضمن دعائه إذ قال: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي ﴾ مبني على استعجاب البشرى واستفسار خصوصياتها دون الاستبعاد والإنكار فإن من بشّر بما لا يتوقعه لتوفر الموانع وفقدان الأسباب تضطرب نفسه بادئ ما يسمعها فيأخذ في السؤال عن خصوصيات ما بشّر به ليطمئن قلبه ويسكن اضطراب نفسه وهو مع ذلك على يقين من صدق ما بشّر به فإن المخاطر النفسانية ربما لا تنقطع مع وجود العلم والإيمان قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ٩﴾ جواب عما استفهمه واستفسره لتطيب به نفسه، ويسكن جأشه، وضمير قال راجع إليه تعالى.((al-Zamakhsharī, 2008, 122)

وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ مقول القول وهو خبر مبتدأ محذوف والتقدير ﴿ هو كذلك ﴾ أي الأمر واقع على ما أخبرناك به في البشرى لا ريب فيه.((al-Ṭabāṭabā'ī,2009,565

وقوله: ﴿ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ ﴾ مقول ثان لقال الأول، وهو بمنزلة التعليل لقوله: ﴿كذلك ﴾ يرتفع به أي استعجاب فلا يتخلف عن إرادته مراد وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن، فخلق غلام من رجل بالغ في الكبر وامرأة عاقر هيّن سهل عليه.

فالطباق هنا بيّن حكم الشخص الذي يرسل له ولد في عمر متقدم، فالحكم الشرعي هنا يرجع للآية الكريمة، ووجدنا هنا أن الآية الكرية أعطت المعنى، و قدمته، و طرحت الحكم الشرعي والجانب الفقهي من منظور البلاغة وهذا يعود إلى أن الفقه و البلاغة والتفسير كلها مصطلحات وعلوم ومفاهيم تشترك في خدمة النص القرآني.(IbnKathīr, 1977, 322)

"ولله درّ شأن التنزيل لا يتأمل العالم آية من آياته إلا أدرك لطائف لا تسع الحصر، ولا تظُننّ الآية مقصورةً على ما ذكرت، فلعل ما تركت أكثر مما ذكرت؛ لأنَّ المقصود لم يكن إلا مجرد الإرشاد لكيفية اجتناء ثمرات علمي المعاني والبيان، وأنَّ لا علم في باب التفسير بعد علم الأصول أقرأ منهما على المرء لمراد الله تعالى من كلامه، ولا أعون على تعاطي تأويل مشتبهاته، ولا أنفع في درك لطائف نكته وأسراره، ولا أكشف للقناع عن وجه إعجازه هو الذي يوفي كلام ربّ العزة من البلاغة حقه، ويصون له في مظانّ التأويل ماءه(Sa'd, 1997, ṣ43).

2- الالتفات: .

وهو من أهم مباحث علوم البلاغة بصورتها العامة، وهو حقيقة يعتمد على حركة الذهن، و انتقالها من معنى إلى معنى آخر، أو من أسلوب لأسلوب ثانٍ ربما يكون مغايراً للأول"('Abd al-Samī', 2005, ṣ97) .

و بطبيعة الحال فإن صور الالتفات كثيرة في سورة مريم لكن نأخذ منها مثالاً وهو قوله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢﴾(Sūrat Maryam, al'āyt12).

https://doi.org/10.61856/ijhss.v2ispc..224

نلاحظ هنا أن الالتفات وسيلة بلاغية تزيد التفسير وضوحاً و قرباً من العقل، فالالتفات هنا ظاهرة بلاغية تعطينا إشارة فقهية في أن المقصود بضمير الغائب يمكن أن يكون سيدنا يحيى، ويمكن أن يكون شخصاً غيره.

فالنظرة الفقهية هنا جاءت بسبب هذا التحول في الضمير ولو بقي الضمير مخاطباً لما جاز فقهياً إسناد الحكم إلا لسيدنا عيسى عليه السلام.

هاهنا اختصارٌ عجيب تقديره فوهبنا له يحيى وأعطيناه الفهم والعقل وقلنا له يا يحيى خذ الكتاب يعني التوراة بما قواك الله عليه وأيدك به ومعناه وأنت قادر على أخذه قوي على العمل به.

وقيل معناه بجد وصحة عزيمة على القيام بما فيه ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ أي: آتيناه النبوة في حال صباه وهو ابن ثلاث سنين عن ابن عباس وروى العياشي بإسناده عن علي بن أسباط قال قدمت المدينة وأنا أريد مصر فدخلت على أبي جعفر محمد بن علي الرضا(عليه السلام) وهو إذ ذاك خماسي فجعلت أتأمله لأصفه لأصحابنا بمصر فنظر إلي فقال لي يا علي إن الله قد أخذ في الإمامة كما أخذ في النبوة قال ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً، وقال ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ فقد يجوز أن يعطي الحكم ابن أربعين سنة ويجوز أن يُعطاه الصبي وقيل إن الحكم الفهم وهو أنه أعطي فهم الكتاب حتى حصل له عظيم الفائدة عن مجاهد وعن معمر قال إن الصبيان قالوا ليحيى اذهب بنا لنلعب فقال ما للعب خلقنا فأنزل الله فيه ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.

وروي ذلك عن أبي الحسن الرضا(عليه السلام) ﴿ وحنانا من لدنا ﴾ والحنان العطف والرحمة أي: وآتيناه رحمة من عندنا عن ابن عباس وقتادة والحسن وقيل: معناه تحننا على العباد ورقة قلب عليهم ليدعوهم إلى طاعة الله تعالى عن الجبائي وقيل: معناه محبة منا عن عكرمة وأصله الشفقة والرقة ومنه حنين الناقة وهو صوتها إذا اشتاقت إلى ولدها وقيل: معناه تحنّن الله عليه كان إذا قال يا رب قال الله لبيك يا يحيى وهو المروي عن الباقر(عليه السلام) وقيل معناه تعطفا منا عن مجاهد فهذه خمسة أقوال: ﴿ وزكاة ﴾ أي: وعملاً صالحاً زاكياً عن قتادة والضحاك وابن جريج وقيل زكاة لمن قبل دينه حتى يكونوا أزكياء عن الحسن وقيل يعني بالزكاة طاعة الله والإخلاص(Sūrat Maryam, al'āyt12).

المطلب الثالث :المحسنات اللفظية

1-التكرار:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣﴾(Sūrat Maryam,al'āyt33)،إن التكرار هنا يعطينا جانباً مهماً في زيادة الجانب التفسيري و التوضيحي لهذه الآية الكريمة، وكذلك الجانب الفقهي هنا ينص على أن الله تعالى كرم الأنبياء و المرسلين و الصالحين؛ فالفقه هنا نظرته أن الله تعالى جاء بالتكريم والإشارة الفقهية من منظور بلاغي وهو التكرار كما أشرنا، و تسليم منه على نفسه في المواطن الثلاثة الكلية التي تستقبله في كونه ووجوده، وقد تقدم توضيحه في آخر قصة يحيى المتقدمة.

https://doi.org/10.61856/ijhss.v2ispc..224

نعم بين التسليمتين فرق، فالسلام في قصة يحيى نكرة يدلُّ على النوع، وفي هذه القصة محلّى بلام الجنس يفيد بإطلاقه الاستغراق، وفرق آخر وهو أن المسلّم على يحيى هو الله سبحانه وعلى عيسى هو نفسه(al-Shīrāzī, 1999, ṣ76) التكرار هو "وسيلة موسيقية رائعة يتفنن الشاعر في تشكيلها، و ذلك لأنها تنم عن وعيه، و إدراكه الفني، و ذوقه الرفيع، فالتكرار هو انعكاس للفكرة المسيطرة على الذهن، و التكرار هو عملية قادرة على تبيان قضية أساسية من قضايا الأسلوب الجمالي"(Rabābi'ah, 2004, ṣ87).

بعد أن أعلمهم أنه عبد الله آتاه الإنجيل وجعله نبياً ومباركاً، معلماً للخير، نفاعاً للناس، وأمره بإقامة الصلاة وأداء الزكاة مدة حياته، كما أمره أن يكون باراً بوالدته ولم يجعله متجبراً في الناس ولا شقياً بمعصيته، ذكر الأمان من الله عليه يوم ولادته ويوم موته ويوم بعثه حياً.

"(2).– الجناس : وهو من أهم المباحث البلاغية وهو اتفاق كلمتين في الحروف و اختلافهما في المعنى وهو نوعان ناقص و تام و الناقص أكثر من التام

ومن ذلك قوله تعالى ((فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً قال إني عبد الله آتاني الكتاب و جعلني نبياً))

إن استخدام الجناس هنا ذو فائجة معنوية و فقهية كبيرة وهو أن الصبي يتكلم إذا كان نبياً, أي أن الله تعالى لا يعجز عنه شيء في الأرض و السماء, فحتى الطفل الذي هو في السرير و لمّا يبلغ سن الكلام بعد بمجرد أنه مبعوث من الله يتكلم بقدرة إلهية من قدرات الخالق عز وجلّ. ..

المطلب الرابع :على مستوى التوكيد:

قال تعالى في سورة مريم:" ﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ ﴾

الظاهر أن التوكيد في الآية من هذا القبيل؛ فمريم عليهما السلام تؤكد لنفسها وذلك باستعاذتها بالله حتى يذهب خوفها فقد لجأ إلى حصن حصين، فال داعي للخوف والقلق. ونلحظ أنها تستثير نوازع الرحمة والشفقة في نفس هذا الغريب من خلال عدة أمور، منها: التوكيد الذي يلفته إلى القوة التي تحتمي بها هذه الفتاة الضعيفة، وذكر الله تعالى باسمه(الرحمن)، فهو رحيم بعباده لا يسلمهم إلى المهالك، خاصّةً من أسلم قيادَهُ إليه، وتُختم العبارة بجملة شرطية تثير التقوى في قلب الغريب، خوفاً من للرحمن أن يصيب أحَد عباده بأذى(Maḥmūd, 2009, ṣ66).

بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، ومقتضى الحال مختلف فإنّ مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة...

تكليمه لما أدهشها حضوره عندها وهي تحسب أنه بشرٌ هجَمَ عليها واستعاذت بالرحمن استدراراً للرحمة العامة الإلهية التي هي غايه آمال المنقطعين إليه من أهل القنوت. واشتراطها بقولها: ﴿ إن كنت تقياً ﴾ من قبيل الاشتراط بوصفٍ يدّعيه المخاطب لنفسه أو هو محقق فيه ليفيد

https://doi.org/10.61856/ijhss.v2ispc..224

إطلاق الحكم المشروط وعليّة الوصف للحكم، والتقوى وصف جميل يشق على الإنسان أن ينفيه عن نفسه ويعترف بفقده فيؤول المعنى إلى مثل قولنا: إني أعوذ وأعتصم بالرحمن منك إن كنت تقياً، ومن الواجب أن تكون تقياً فليردعك تقواك عن أن تتعرض بي وتقصدني بسوء.

فالآية من قبيل خطاب المؤمنين بمثل قوله تعالى ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [al-Mā'idah : 112]، وقوله: ﴿ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [al-Mā'idah : 23]. وربما احتمل في قوله: ﴿ إن كنت﴾ أن تكون إن نافية والمعنى ما كنت تقياً إذ هتكت عليَّ ستري ودخلت بغير إذني. وأول الوجهين أوفق بالسياق. والقول بأن التقي اسم رجل طالح أو صالح لا يعبأ به. قوله تعالى: ﴿ قال إنّما أنا رسول ربّك لأهبَ لكِ غلاماً زكيّاً ﴾ جواب الروح لمريم وقد صدر الكلام بالقصر ليفيد أنه ليس ببشر كما حسبته فيزول بذلك روعها ثم يطيب نفسها بالبشرى، والزكي هو النامي نمواً صالحاً والنابت نباتاً حسناً.(Albāṭbā'y, 1392h, ṣ987)

ومن لطيف التوافق في هذه القصص الموردة في السورة أنه تعالى ذكّر زكريا وأنه وهب له يحيى،.

وذكر مريم وأنه وهب لها عيسى، وذكر إبراهيم وأنه وهب له إسحاق ويعقوب، وذكر موسى وأنه وهب له هارون عليه السلام.

الخاتمة:

توصل البحث فيما تقدم إلى مجموعة من النتائج أهمها:

1- الارتباط الوثيق بين الفقه و البلاغة و التفسير في سورة مريم

2- البلاغة ليست فقط معياراً جمالياً بل هي أيضاً سبيل يمهد لكل ما يمكن لنا أن نستكشفه من شرع و فقه.

3- طريقة التفسير هي التي تعطي الحكم الفقهي البعد الاحتمالي في كثير من الأحيان.

4- والبلاغيون لا ينظرون لكل ما يحيط بالنص من متكلم ومخاطب، وخطاب فحسب.. بل والأمر لا يتوقف على مراعاة أحوال المتكلم والمخاطب وبيئة الكلام، بل تتعدى ذلك كله لتشمل غرض الكلام وبيان خصائصه وسماته.

References

The Holy Quran.

Al-Maṣādir Wa-Al-Marāji‘:

'Abdul-Sami', H. (2005). Al-Nazm Al-Qur'ani (3rd ed.). Syria: Dar Al-Qalam.

Abu Hilal Al-'Askari, H. A. (2009). Kitab Al-Sina'atayn (M. Yousuf, Ed.). Beirut: Dar Al-'Ilm (4th ed.).

Al-Asfahani, Al-Raghib. (2006). Al-Mufradat fi Gharib Al-Quran (4th ed.). Iraq: Dar Al-Hussain.

Al-Baydawi, N. (2006). Minhaj Al-Wusul ila 'Ilm Al-Usul (2nd ed.). Beirut: Dar Al-Fikr.

Al-Jahiz, A. B. (1991). Al-Bayan wa Al-Tabyin (Yusuf Omar, Ed.). Hay'at Al-Turath.

https://doi.org/10.61856/ijhss.v2ispc..224

Al-Qazwini, J. A. (1970). Sharh Al-Talkhis (M. Duwaydari, Ed.). Damascus: Dar Al-Hikmah.

Al-Shayib, A. (1999). Al-Asloob (3rd ed.). Beirut: Dar Al-Fikr.

Al-Shirazi, N. M. (1999). Al-Amthal fi Tafsir Kitab Allah Al-Munzal (2nd ed.). Beirut: Dar Al-Sa'adah.

Al-Subki, A. A. (1999). 'Urus Al-Afrah (3rd ed.). Beirut: Dar Al-'Urubah.

Al-Tabataba'i, M. H. (1977). Tafsir Al-Mizan (M. M. Al-Husseini, Ed.). Beirut: Dar Al-Kawthar.

Al-Zarkashi, B. M. (2008). Al-Burhan fi Ulum Al-Quran (3rd ed.). Beirut: Mu'assasat Al-Risalah.

'Asfur, J. (1992). Al-Surah Al-Fanniyah fi Al-Turath Al-Naqdi wa Al-Balaghiy 'Ind Al-'Arab (3rd ed.). Beirut: Al-Markaz Al-Thaqafi Al-'Arabi.

Ibn Al-Athir, M. A. (2006). Al-Nihayah fi Gharib Al-Hadith wa Al-Athar. Beirut: Mu'assasat Al-Risalah.

Ibn Al-Hajib, 'Uthman. (2004). Mukhtasar Al-Muntaha Al-Usuli. Iraq: Dar Al-Rasheed.

Ibn Manzur, M. (1999). Lisan Al-'Arab (Amin M. 'Abdulwahab & M. S. Al-'Abidi, Eds.). Beirut: Dar Ihyaa Al-Turath Al-'Arabi (3rd ed.).

Sa'd, M. (1997). Dalalat Al-Alfaz. Cairo: Matba'at Al-Amanah.

'Udaiymah, A. K. (1999). Dirasat li Asloob Al-Quran Al-Karim (2nd ed.). Beirut: Dar Al-Fikr.